الكاتبة تفرق هنا بين رقة طبع المرأة وعطفها واحتمالها وبين قسوة الرجل وانانيته وسيطرته . ولكنها تبالغ قليلا في هذا التفريق بحيث تعطي العذر للفتاة في العودة الى طريق المصنع الذي جر عليها الويلات ، بدل العودة الى الخدمة في البيوت رغم ما فيها من تعنت ربة الدار وصفعاتها أحيانا . واسلوب الرسالة خطابي وعظي كأنما قصدت به البطلة تبرير سقوطها في سبيل لقمة العيش .

بقية قصص المجموعة يتراوح اسلوبها بين السرد والحوار ، والخواطر والسيرة الذاتية احيانا . أما موضوعاتها فكثير منها يؤكد ما صورته في القصة السابقة من قسوة الظروف التي تضطر الفرد او الافراد الى تصرف معين قد يضر فاعله والاخرين حوله. فعلت ذلك في قصتها « نافخ الدواليب » حين ضاقت الحياة ببطل القصة ، وسدت امامه سبل العيش النظيف ، فاضطر الى الغش في عمله والعبث بدواليب الدراجات المصفوفة خارج دار السينما ، حتى اذا خرج اصحابها كان لا بد لهم من أن يقصدوا المحل لاصلاحها ، فينال قروشا من اقرب طريق . وهو يحاول تبرير عمله بأن وراءه أما واخا واختا يعيشون من ابرة امهم . وهنا يغلب على الكاتبة تشاؤمها وتجنح الى السخرية حين تقرر ان بطل القصة يتردد على المدرسة الليلية ويسمع دروسا تحث على الامانة ، ثم يشعر بالخجل لعدم استطاعته تطبيقها في سلوكه .

وتعاود سميرة سوداويتها مرة اخرى حين تصور احلام فتاة فقيرة عاملة في مصنع لتعبئة الزجاجات ، مخطوبة لسائق سيارة المصنع الذي يوصلها الى بيتها بالسيارة كل يوم ، ولكن بدل أن يتما سيرهما معا « على الدرب » وهو عنوان القصة ، فجأة يتخلى خطيبها عنها ويترك عمله على سيارة المصنع الكبيرة ، ويصبح سائقا خاصا لمدير المصنع نفسه، ومن يومها فهو لا يقف لها على الدرب ولا يوصلها ولا يعترف بها ! كذلك يبدو التشاؤم واضحا في قصتي « عقب سيجارة » و« بائع الصحف » ففي الاولى تصوير لمظاهر الفقر والحاجة مع كثرة الاولاد ، واضطرار احد الابناء الى تجميع اعقاب السجائر بدل أن يحاول أي عمل نافع ، ودخوله السجن من اجل هذه الهواية غير المشروعة ، ولكن الدنيا ما زالت بخير فيما يبدو ، فالضابط المسئول « صفوان » جار قديم لمحمود ، والد الابن السجين ، يتعرف عليه ويخدمه باخراج ابنه من السجن . أما الصورة الاخيرة في القصة فساخرة مرة ، اذ يدخل الاب والابن البيت على صوت واقد جديد وضعته الام في تلك اللحظة « ونظر الولد الى ابيه وقد امسك بيده علبة ثقاب وراحت يده الثانية تبحث بعصبية في جيوب سرواله وسترته عن شيء .. هنا دس حسين يده في جيبه واخرج عقبا من بين الاعقاب القابعة فيها ، ودفعه الى ابيه ليستقر في لحظة بين شفتي والده اليابستين المرتعشتين .. » !

و« بائع الصحف » صورة رومانسية مؤثرة رغم واقعية احداثها وصورها اليومية المتكررة ، فعبود صبي صغير بريء ، تعلم سر المهنة من والده واخذ يقفز ما بين الحافلة والرصيف مناديا على ما في رزمته من صحف وما في الصحف من أخبار تهم مختلف الفئات ، فصحيفته « للموظفين تبشر بالكادر والعلاوات.. وللتجار بالتسوية للمشكلة الاقتصادية القائمة بين سوريا ولبنان .. الخ » عدا الطبقة التي يتفنن « عبود » في ابتداع العناوين الخيالية من أجلها : « الرجل الذي ذبح ابنه، المجرم الذي دوخ القوات، الفلاح الذي وجد كنزا مطمورا ، وهكذا » . ولكن هذه الحركة السريعة في القصة سرعان ما تنتهي الى سكون ، والكائن النابض بالحياة يلاقي مصيره القاسي تحت عجلات القافلة ، ويتناثر رشاش من دمه على الصحف الملقاة بجانب الجثة . ويسخر القدر من الناس وحركتهم واعمالهم ، فبائع الصحف النشيط « عبود » أصبح خبرا صغيرا في صحيفة ينادي عليها بائع آخر « رقيع » تجرا بالتدليل على صحيفته في اليوم التالي بذكر تفاصيل حادث عبود الذي مات تحت عجلات الحافلة .